المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 18A2 2025 تشرين1
No. 18A2 2025 October

جدلية الحنين والغربة في الشعر العراقي الحديث ـ علي ناصر الحسيني أنموذجاً

سجّى عبد الكاظم كامل
جامعة طهران - مجمع الفارابي - قسم اللغة العربية وآدابها
saja.kadham91@gmail.com
د. جهاد فيض الـ إسلام
feyzoleslam@ut.ac.ir
عضو الهيئة التعليمية بجامعة طهران، إيران

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة ثيمتي الغربة والحنين في الشعر العراقي الحديث، مع التركيز على دور الرمز كأداة نقدية وجمالية في التعبير عن التجربة الشعرية. اعتمد البحث منهجاً وصفياً تحليلياً يستند إلى دراسة الإطار النظري لمفهوم الرمز في النقد الأدبي الحديث، واستحضار الخلفية التاريخية والاجتماعية التي شكّلت التجربة الشعرية العراقية. ومن خلال تحليل النصوص الشعرية، تبيّن أن الغربة لم تقتصر على البعد المكاني، بل شملت اغتراباً نفسياً وجودياً، فيما شكّل الحنين إلى المكان والأشخاص والقيم أحد المرتكزات الأساسية التي منحت النصوص بعداً إنسانياً عميقاً. وخلص البحث إلى أن ثنائية الغربة والحنين تعكس جدلية الانفصال والعودة في التجربة الشعرية العراقية، ما يثري النصوص فنياً ودلالياً، ويجعلها قادرة على التعبير عن هموم الذات والجماعة معاً.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الشعر العراقي الحديث، الغربة، الحنين.

The Dialectic of Nostalgia and Alienation in Modern Iraqi Poetry - Ali Nasser Al-Husseini as a Model

Saja Abdul-Kadhim Kamel
University of Tehran - Al-Farabi Complex - Department of Arabic Language and Literature
saja.kadham91@gmail.com
Dr. Jihad Fayz Al-Islam
feyzoleslam@ut.ac.ir
Faculty Member, University of Tehran, Iran

Summary

This study aims to explore the themes of alienation and nostalgia in modern Iraqi poetry, focusing on the role of symbolism as both an aesthetic and critical device In expressing the poetic experiencee. The research adopts a descriptive-analytical approach, examining the theoretical framework of symbolism In modern literary criticism and highlighting the historical and social contexts that shaped modern Iraqi poetry. The analysis reveals that alienation extends beyond physical displacement to includeincludee psychological and existential estrangement, while nostalgia for places, people, and values constitutes a central motif that grants the texts a profound human dimension. The study concludes that the dialectic of alienation and nostalgia reflects the tension between separation and return In the Iraqi poetic experiencee, enriching the texts both artistically and semantically, and enabling them to express individual as well as collective concerns.

Keywords: Symbolism, Modern Iraqi Poetry, Alienation, Nostalgia.

المقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق وسيد المرسلين النبي الصادق الأمين محمد ﷺ، وأما بعد...

يُعَدّ الشعر العراقي المعاصر مرآةً للتحولات الكبرى التي عاشها العراق خلال العقود الأخيرة، حيث توالت الحروب والنزاعات والاغترابات الداخلية والخارجية، مما ألقى بظلاله الثقيلة على التجربة الشعرية. ومن أبرز السمات الرمزية التي تجلّت في النصوص الشعرية العراقية: الحنين بوصفه عودة إلى الماضي، إلى الوطن، وإلى القيم الأصيلة، يقابله الإحساس بالغربة الذي يعكس التشتت والانفصال والاغتراب الوجودي والمكاني. ومن خلال جدلية الحنين والغربة، يتشكل فضاء شعري متوتر بين الانتماء والفقد، بين الألفة والمنفى، وبين الذاكرة والواقع.

عرف الشاعر العراقي الحديث الغربتين الروحية والجغرافية وعاشهما مُرغماً نتيجةً للظروف والأحداث السياسية التي عصفت بالعراق منذ تأسيس الدولة في بداية القرن العشرين حتى سقوطها في عام 2003 ولحد اليوم.

وقد اهتم الشعراء العراقيين منذ القدم بظاهرة الغربة والحنين، فلقد رافقت الشعر على مر العصور، إذ يعبّر الشاعر عما يختلج في نفسه، وعما يعانيه من وقد اهتم الشعراء العراقيين منذ القدم بظاهرة الغربة والحنين، فلقد رافقت الشعر على مر العصور، إذ يعبّر الشاعر عما يختلج في نفسه، وعما يعانيه من ألم، وحزن عميق سببه فراق الأهل والأحبة والأصدقاء، فضلاً عن بعده عن الوطن، كما مثّل شعر الغربة مرآة لنفس الشاعر وأغواره الداخلية عكس فيها بعض من صور الحياة الاجتماعية المصاحبة للشاعر، المجسدة لعناء النفس الإنسانية، وقد برزت هذه الظاهرة في شعر العراقيين في العصر الحديث، حيث خاضوا في شواطئها وغاصوا في أعماقها حتى بدت واضحة جلية المعنى أمام أغلب الباحثين.

وإن ظاهرة الاغتراب متعددة الأبعاد، تزداد حدتها ومجال انتشارها كلما توافرت العوامل والأسباب المهيأة لها، فبعد الشعراء عن أوطانهم وأهلهم وفراقهم لأحبابهم يؤدي إلى نوع من سوء التكيف والتوافق ومن ثم العديد من المشكلات منها: الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن، فعندما يبعد الإنسان عن وطنه يشعر بمشاعر الغربة والحنين التي كان يعيشها وهي بقربة نفسية مؤلمة وانعكاس للواقع المأساوي.

والشاعر المغترب هو ذلك الإنسان الذي يبدو غريباً عن وطنه يعيا مهموماً شاكياً يحاول أن يفصح عن حنينه واشتياقه للوطن بعد أن فارقه كل شيء في وطنه الحبيب، وذلك يعيش ألم الفقدان والحرمان من وطنه الغالي.

أهمية البحث:

انطلقت أهمية دراستنا من النقاط الآتية:

1- يضيء البحث على ظاهرة شعرية أصيلة لم تحظَ بالدراسة النقدية الكافية.
2- يبرز العلاقة بين البُعد النفسي (الحنين) والبعد الوجودي/المكاني (الغربة) في النص الشعري عند علي ناصر الحسيني.
3- يسهم في فهم كيفية اشتغال الذاكرة والاغتراب في تشكيل النصوص الشعرية عند علي ناصر الحسيني.
4- يكشف عن الدور الذي تلعبه هذه الجدلية في صياغة الهوية الشعرية العراقية المعاصرة.

أهداف البحث:

اعتمدت دراستنا على تحقيق الأهداف الآتية:

1- دراسة تجليات الحنين في الشعر العراقي المعاصر (عند علي ناصر الحسيني).
2- تحليل صور الغربة بأبعادها المختلفة (مكانية، نفسية، وجودية) عند علي ناصر الحسيني.
3- إبراز التفاعل الجدلي بين الرمزين في علي ناصر الحسيني.
4- ربط هذه الجدلية بالواقع العراقي المعاصر وبالسياق التاريخي والسياسي.

إشكالية البحث:

تكمن الإشكالية في محاولة الإجابة عن:

كيف استطاع الشاعر العراقي علي ناصر الحسيني أن يوظف جدلية الحنين والغربة للتعبير عن صراع الذات الشاعرة بين التعلق بالماضي/الوطن والاغتراب في الحاضر/المنفى؟

تساؤلات البحث:

ستكون دراستنا إجابات عن التساؤلات الآتية:

1- ما أبرز مظاهر الحنين في الشعر العراقي عند علي ناصر الحسيني؟
2- كيف تتجلى الغربة بأشكالها المختلفة في نصوص شعر علي ناصر الحسيني؟
3- ما طبيعة العلاقة الجدلية بين الحنين والغربة في التجربة الشعرية عند علي ناصر الحسيني؟
4- كيف أسهمت الظروف التاريخية والاجتماعية في بلورة هذه الجدلية؟
5- هل يمثل هذا الاشتغال الرمزي تجديداً في البنية الشعرية العراقية المعاصرة؟

منهج البحث:

تم الاعتماد على المناهج الآتية في عملية البحث والدراسة:

1- المنهج الوصفي-التحليلي: لتحليل النصوص الشعرية والكشف عن صور الحنين والغربة.
2- المنهج الأسلوبي-الرمزي: لقراءة الرمز ودلالاته في النصوص الشعرية.
3- المنهج التاريخي-الاجتماعي (مساندا): لفهم السياق الذي ولّد هذه الجدلية.

منهجية البحث:

سيتم الاعتماد على محموعة من النقاط التي تمثل منهجية كتابة البحث، وهي:

1- تحديد عينة من الشعراء العراقيين المعاصرين (مثل: علي ناصر الحسيني، مظفر النواب، جيل ما بعد 2003).
2- تحليل النصوص وفق المستويات التالية:
3- تحليل النصوص على مستوى:
أ- المستوى اللغوي: الألفاظ والتراكيب التي تجسد الحنين والغربة.
ب- المستوى الدلالي: جدلية العلاقة بين الرمزين.
ت- المستوى الفني: الصور الشعرية، الإيقاع، والأسلوب.
4- استنتاج الدلالات العامة وربطها بالواقع العراقي وتجربة المنفى/الاغتراب.

أسباب اختيار الموضوع:

كان سبب اختياري لهذا الموضوع منطلق من النقاط الآتية:

1- تعد محاولة الوقوف على تجليات ظاهرة الحنين والغربة في الشعر العراقي المعاصر السبب الرئيس وراء اختيار هذا الموضوع.

2- خصوبة المادة الشعرية المتعلقة بالغربة والحنين في الشعر العراقي الحديث.

الدراسات السابقة:

تم الاعتماد على مجموعة من الدراسات السابقة التي أفادت محتوى المادة العلمية، ومن هذه الدراسات:

1- الغربة والحنين في شعر الأبيوردي (دراسة تحليلية): للطالبة جنة تقي عبيد، مجلة دواة، مج٩، ع٣٧، ٢٠٢٣م.
2- الغربة والحنين إلى الوطن في شعر الجواهري: أ. د. صدام فهد الأسدي: مجلة أقلام، ع ٨، ١٩٨٣م.
3- تجليات الغربة والحنين في شعر الصمة بن عبد الله القشيري (دراسة تحليلية نقدية): د. رزق المتولي رزق الأحمد: كلية التربية، جامعة المنصورة، ٢٠٢٤م.

خطة البحث:

تم تقسيم بحثنا وفق الخطة الآتية:

المقدمة: وتتضمن: (أهمية البحث، أهداف البحث، إشكالية البحث، تساؤلات البحث، منهج البحث، منهجية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، الدراسات السابقة).

الفصل الأول: الإطار النظري

المبحث الأول: مفهوم الرمز في النقد الأدبي الحديث.

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية والاجتماعية للشعر العراقي المعاصر.

الفصل الثاني: الغربة والحنين في الشعر العراقي الحديث.

المبحث الأول: الغربة النفسية والداخلية في النص الشعري عند علي ناصر الحسيني.

المبحث الثاني: تجليات الحنين إلى المكان والأشخاص والقيم في النصوص الشعرية عند علي ناصر الحسيني.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

الفصل الأول: الإطار النظري

المبحث الأول: مفهوم الرمز في النقد الأدبي الحديث

الرمز في الأدب لغةً: هو الإيماء والإشارة والعلامة، والرَّمْزُ (في علم البيان) هو الكناية الخفيَّة، وجمعها رُمُوزٌ.(ابن منظور ، مادة (ر م ز))

الرمز في الأدب اصطلاحًا: هو أسلوب فني يستخدمه الأديب، بحسب تجربته الشّعوريّة أو نظرته الفنية، وتساهم في تشكيل المعنى الذي يودّ إيصاله، والرمز يكون كلمةً أو عبارةً أو شخصيةً، أو اسم مكان، وهو يتضمن دلالتين، إحداهما مباشرةٌ وظاهرةٌ، والأخرى باطنةٌ مرتبطةٌ بالمعنى المُراد تبليغه، مثل استخدام الحمامة رمزًا للسلام، والدماء رمزًا للحرب والقتل، والمطر رمزًا للخير، والميزان رمزًا للعدالة، وتعتبر الرمزية (بالإنجليزية: Symbolism) إحدى المدارس الأدبية الثورية الكبرى.(العتيبي ، 1997 :ص. 217)

ظهر المذهب الرمزي للرد على المذهب الواقعي في أوروبا، في النصف الثاني من القرن 19، وهو مذهبٌ فنيٌ وأدبيٌ أصوله فلسفية تمتد إلى أفلاطون، في المثالية الأفلاطونية، التي كان يرى من خلالها

حقائق العالم المادية مجرد رموزًا للحقيقة المثالية البعيدة، وتُعد المدرسة الرمزية إحدى أهم المذاهب الأدبية العالمية، واعتبار الرمزية أقوى من اللغة في التعبير عن النواحي النفسية، وقد أُعلن عن المدرسة الرمزية رسميًا عام 1886م في فرنسا، ومن ثم أصبحت مدرسة في أنحاء العالم كافة.(الادب المقارن ، 1989 : ص.524)

من أهم أنواع الرمز في الأدب ما يأتي:

الرمز الديني: يتمثل في توظيف شخصيات، أو أمكنة، أو أحداث دينية، للتعبير عن مواقف محددة، فإبراهيم عليه السلام يرمز للكرم والتضحية، وعمر بن الخطاب يرمز للعدل، وأيوب عليه السلام يرمز للصبر على البلاء والرضا بقضاء الله، وعيسى عليه السلام يرمز للبعث ولإحياء الموتى، وهابيل يرمز للخير، وقابيل يرمز للقتل، والقرآن الكريم والكتب السماوية والكتابات الدينية، مليئة بالرمزية، مما يدل على أهمية استخدامها.(عركون ، 2021 : ص.8)

الرمز التاريخي: ويقصد به اتخاذ أحداثٍ تاريخيةٍ رموزًا قادرة على الإيحاء بما يريد الأديب التعبير عنه، وهي كثيرة الظهور في الشعر خاصة، من أمثلتها اتخاذ فرعون رمزًا للطغيان والظلم، وصلاح الدين الأيوبي رمزًا للقوة والشجاعة، وهارون الرشيد رمزًا للبذخ.(زيدان ،2021: ص.32)

الرمز الأسطوري: ويقصد به اتخاذ أحداث أو شخصيات مأخوذة من قصص شعبية، تروي بعض الأحداث غير الطبيعية، أو تتحدث عن أعمال أبطالٍ خياليين، مثل استخدام السندباد الذي يرمز للمغامرة والشخص كثير التنقل والسفر، وشهريار رمزًا للرجل المتعنّت الرافض للمرأة، وشهرزاد رمزًا للمرأة الذكية، وطروادة رمزًا للخداع والمكر.(قزع ، 2012 : ص.26)

الرمز الصوفي: ترتكز العقيدة الصوفية على فكرة وحدة الوجود، وأن العالم والله ليسا شيئين منفصلين، وقد استخدم الصوفي الرمزية في تسمية هذا المسلك "طريقًا"، وسمى نفسه "سالكًا"، وسمى المسافات التي يقطعها، ويقف عندها للاستجمام "مقامات"، وسمى الغرض الذي يقصده من سلوكه اتحاد نفسه مع الحقيقة، وبعبارة أخرى اتحاد ذاته مع الله "الفناء في الحق"، وقد رسم الصوفيون خُرَطًا لهذا الطريق، وتعددت خُرَطهم بتعدد أنظارهم، وفي كل من المقامات يقف السالك فيشعر بمشاعر نفسية خاصة أطلقوا عليها "الأحوال".(الزيات ،د.ت: ص.8)

من أهم خصائص الرمز في الأدب ما يأتي (الاصفر ،2015 : ص.33):

- الاكتفاء بالتلميح إلى الأشياء، وذلك بتجنب الأسلوب المباشر والخطاب وأي نوع من الشروح والتفصيلات.
- الاعتماد على الرمز في التعبير عن الأفكار والعواطف والرؤى، لأنه أقدر على الكشف عن التجارب النفسية وعما هو وراء الواقع المحسوس، وذلك بزيادة النشاط الذهني للشخص المتلقي.
- التكثيف وشدة الإيجاز، فليس هناك تفصيل أو شرح.
- الغموض والضبابية في التعبير، تعتبر من أهم ميزات الرمزية في الأدب، وهذا الغموض ناتج عن الإيحاءات غير المباشرة.
- الإيغال في الخيال، فهو يعتمد على الخيال بشكلٍ كبيرٍ.

الرمز في الأدب له عدة وظائف، ندرجها فيما يأتي:

- إغناء الصورة الأدبية، وتوسيع دلالتها المكانية والزمانية، بخاصة في الرموز التاريخية، عن طريق إسقاط دلالات الرمز على الواقع المعاصر.
- إكساب الأعمال الأدبية بعداً فنيًا وجماليًا، بهدف تغذية العمل الأدبي وزيادة قيمته الإبداعية، وإثرائه معرفيًا.
- الدلالة على المعاني العميقة وتكثيفها.

- توحيد أبعاد الصور الشعرية.
- إغناء الصورة الشعرية.
- التعبير غير المباشر عن الحالة النفسية للبشر بواسطة الإيحاء.

تتجلى المدرسة الرمزية في الأدب في الكتابات الأدبية، والشعر، وحتى في الفنون البصرية مثل الرسم، والمنحوتات، وكذلك الأغاني، والأناشيد، والعزف الموسيقي، ومختلف أنواع الفنون الجميلة، وتدعو المدرسة الرمزية في الأدب إلى الغموض من خلال الرموز الغائمة بحجة أن الأديب لا ينزل إلى مستوى القراء، بل هم المطالبون أن يرتقوا إلى مستواه، فإن فهموا فذلك ما يريد، وإن لم يفهموا فليس على الأديب حرج.(الرمز ،د.ت: ص.21)

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية والاجتماعية للشعر العراقي المعاصر

الشعر العراقي جزء من الأدب العراقي والعربي ويشمل أيضًا الشعر المكوّن في خارج العراق من قبل شتات عراقي والشعر المكتوب بلغات أخرى في العراق منهم الكوردية والتركية العثمانية والسريانية والتركمانية والفارسية.(فيله ، 2019 : ص.41)

الشعر العراقي كجزء من أصله العربي له تاريخ يمتد لقرون، على الرغم من ذلك، التدفق التاريخي لبداية الشعر في العراق وتحديد هوية الشعر العراقي تعّد غامضة عند نقاد ومؤرخو الأدب. أن الاسم العربي العِرَاق مستخدم منذ ما قبل القرن السادس وهو يشير إلى بلاد ما بين النهرين/الرافدين. من الشعراء بلاد الرافدين والمتعلقة بالتاريخ القديم للعراق، ذكرت في مصادر إنخيدوانا أو إنهدوانا (2285-2250 ق م) وهي أميرة أكدية من أهل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، والكاهنة الأعلى للإله نانا إلهه القمر عند السومريين في مدينة أور، أنها أقدم شاعرة معروفة تم تسجيل اسمها. وعن الشعراء بالعربية ما قبل القرن السابع هم جذيمة الأبرش (؟ – 268) ثالث ملوك تنوخ، ولقيط بن يعمر الإيادي (؟ - 380) وعدي بن زيد العبادي (؟ – 587) وهند بنت النعمان بن المنذر (؟ - بعد 610) الشاعرة والكاتبة وإياس بن قبيصة الطائي (؟ – 618) قائد عسكري ساساني.(مجلة الحياة ، 2009 : ص.10)

عُرف العراق بـ«بلد الشعر والشعراء» أو «بلد الشعراء» عند الأدباء العرب لكثرة عدد الشعراء فيها. يعد العراق من الدول المتعددة القوميات واللغات إذ أن تنوع القوميات أدى إلى تنوع اللغات المستخدمة في الشعر العراقي كالعربية والكردية والتركية والسريانية/الآشورية فضلاً عن الفارسية كإحدى اللغات الدولة العثمانية واللغات الدول المستضيفة للشتات العراقي. لم يقتصر الشعر العربي العراقي على العربية الفصحى بل تسلل إلى العامية العراقية بلهجاتها المختلفة، وهناك أيضًا شعر شعبي عراقي.(العراق بلد الشعراء ،2010 : ص.15)

شهدت بلاد الرافدين في العهد العباسي نهضة أدبية واسعة، دعمها الخلفاء والملوك والأمراء، فقد اجزلوا للشعراء العطايا والهبات الكثيرة. وقد أثرت الحالة السياسية والاجتماعية على الأدب تأثيرًا بينًا، وعنى العباسيون بالثقافة العربية وتعمقوا بها، وكان الشعر صورة لذلك العصر، وله أساليبه وفنونه الشعرية، واتسعت أغراض الشعر كأتساع الوصف والخمريات والعصبية والغلو في المدح والغزل بالمذكر، فكان سلس العبارة، واضح المعنى، جيّد الأسلوب، يعتمد على المحسنات اللفظية وابداع الصورة الجديدة، وكان العراق أوفر نصيبًا من البلاد العربية في الشعر العباسي. «واستطاع الشعر العراقي أن يقف على قدميه في كل ظرف، وأن يحتفظ بطابعه الأصيل حتى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة 656 هـ.» (الخياط ،1987 : ص.129)

من الشعراء البارزين بعد 2003 هو مروان عادل حمزة الذي عدّ من الشعراء الشباب المحدثين العراقيين في القصيدة وقد حقق حضورًا كبيرًا برغم ابتعاده عن النشر حتى توفي يوم 22 أبريل 2021. وقد ظهرت وجدان النقيب بوصفها شاعرة شعبية ومحاربة للسرطان في بدايات عقد 2010، إذ عانت من سرطان

الغدد الليمفاوية، فـ«حاربت السرطان بالشعر» حتى توفيت عن 24 عامًا بسبب مرضها.(الطعمة ، 1993 : ص.21)

الشعر لا يزال يهيمن على الأدب العراقي ويتفوق الفضاء الشعري في إنتاج أدبي بالعراق في القرن الحادي والعشرين حيث صرّح صحفي وشاعر عراقي رعد كريم عزيز في فبراير 2019 أن «ما زال العراق بلد شعر، لا رواية، والشاعر تحت بقعة الضوء، بينما الراوي يخفي في ثنايا السرد تمهله ورويته، على عكس الشاعر، الذي يفور إحساساً مباشراً، يقذف بلهب الإحساس، ولديه متلق متلهف للشعر لكي يصعد كفيه بالتصفيق، ولا يزال الشاعر يراقب عيون الحضور ليرى مدى تأثيره عليهم.» (بصري ، 1994 :1/ ص.30)

تقيم وزارة الثقافة العراقية مهرجان المربد الشعري منذ 1971 في البصرة. انطلقت أولى دوراته في 1 أبريل (نيسان) 1971، وبلغت دوراته 18 دورة حتى 2002، ثم استؤنفت سنة 2004 بجهود شخصية من قبل أدباء بصريين. ويعد من أهم الفعاليات الثقافية في العراق. واتحاد الأدباء العراقيين ينظم «مهرجان الجواهري الشعري» سنويًا منذ 2003 في بغداد؛ ويعد المهرجان الثاني المهم بعد المربد الذي انتقلت فعالياته بعد 2003 إلى البصرة. (الطعمة ، 2002 : ص.17)

يمثل العراق الريادة الفعلية للشعر العربي الحديث. لقد قدَّم الانفلات الأهم عن مسارات الأشكال الكلاسيكية والأساليب المكرورة طيلة قرون، كما مثَّل الشعر الحديث الطالع بين ظهرانيه تحولاً كبيراً في معالجة الموضوعات القديمة، الثابتة، المنظور إليها بصفتها الموضوعات الوحيدة الجديرة بعمل الشاعر: المدح، الهجاء، الرثاء، الغزل،..إلخ. (لعيبي ،2001 : ص.6)

ولكي نضع الريادة العراقية المعروفة في سياق محدَّد، فعلينا أن نعرف أن أشهر أعلام الشعر العراقي حتى أربعينات القرن العشرين كانوا يمثلون نسقاً للمعرفة الشعرية السلفية التي تعاود، دون كلل، النسج على منوال واحد، نذكر منهم عبد الغفار الأخرس (1805-1874) وأحمد الصافي النجفي (1895-1977) وجميل صدقي الزهاوي (1863-1936) وحافظ جميل (1908-1984) وعبد المحسن الكاظمي (1865-1935) ومعروف الرصافي (1875-1945) وعلي الشرقي 1889-؟) ومحمد رضا الشبيبي (1888-1966) ومحمد سعيد الحبوبي (1849-1916) ومحمد مهدي البصير (1896-؟) وكذلك الكبير والإستثنائي محمد مهدي الجواهري (1903-2000)

كانت مجهودات هؤلاء تتنوع على الوتيرة ذاتها ولم يستطيعوا، خاصة، تقديم (رؤية) مغايرة لتلك الرؤية الكلاسيكية، وكانوا يكتبون وفق نهج يتمترس حول قيم بلاغية صارت قواعد نهائية للشعر بالنسبة إليهم. لقد كانوا، من جهة أخرى، يعيدون صياغة الأوزان والقوافي التي برهنت فاعلية تاريخية من دون أن يفكروا بإعادة فحصها وغربلتها. كل ذلك لأنهم كانوا، موضوعياً، يقيمون في عالم روحي وفكري ينتمي للماضي أكثر مما ينتمي للتغيرات الحاصلة في القرن العشرين

الفصل الثاني: الغربة والحنين في الشعر العراقي الحديث.

المبحث الأول: الغربة النفسية والداخلية في النص الشعري.

يعد الاغتراب النفسي شكلاً مهماً من أشكال الاغتراب؛ لأنه يتعلق بما يعتمر في النفس الداخلية أو النبض الشعوري الداخلي للذات الشاعرة، من أحاسيس، ورؤى، ومنعكسات نفسية شعورية، وصراعات داخلية وتوترات نفسية تنعكس على الجسد اللغوي للنص الشعري؛ لأن الشعر- في المحصلة- انعكاس لكتلة مشاعر وأحاسيس، وهو" خصيصة إنسانية. والشاعر إنسان يتميز عن غيره بحساسية شديدة تجاه ما حوله، ومن حوله، ولذلك، فإنه ينطلق من خلال عالمه الشعري ليعبر عن وجدانه، ملتمساً لنفسه عالماً خاصاً به، يحاول عن طريقة إعادة تشكيل الأشياء وفقاً لرؤاه الفنية الخاصة، وعلي ذلك تولد القصيدة من

خلال رغبة الشاعر في تنظيم علاقته مع الآخرين، لتحقيق الانسجام عن طريق التعبير باللغة، والشاعر قبل أن يبدع شعره يحمل في داخله رغبة في الانسجام مع الآخرين والتواصل معهم؛ وهذه أولى علائم الإيقاع. ولا ينبع الإيقاع من استجابة الشاعر لأمور خارجية بقدر ما ينبع من ذاته من الإدراك الداخلي والحاجة النفسية الملحة؛ ومن ثم استخلاص الإيقاعات الشعرية المتناسقة من قلب الواقع المعيش، ثم إبرازها؛ وعلى هذا، تتغير اللغة لتلتقي مع تموجات شعور الشاعر".(ترمانيني ،2004: ص.30)

إن لبَّ الأزمة الوجودية- عند المغترب- أن يموت مشرداً على الأزقة، وأن تكون نهايته عند المنعطف، أو على رصيف مهجور، أو زاوية مهملة لا ينتبه إليه أحد، أو لا يأبه بأمره إنسان؛ إن هذه النهاية هي الشبح الجاثم على صدره، وهي التي تقض مضجعه.

أما أبرز ما يمثله الاغتراب من أسي، ووجاعة شعورية داخلية فهو أن يشعر المرء أنه ووطنه في غربة، أو كلاهما غريبان مغتربان عن بعضهما البعض، وكلاهما في حاجة إلى وطن ليأويهما، كما في قول مظفر النواب:(النواب ، 1996 :316 ص.)

"يا وطني؛ وكأنكِ في غربة

وكأنك تبحثُ في قلبي عن وطنٍ أنتَ ليأويكَ

نحنُ الاثنان بلا وطنٍ يا وطني"

فكلاهما مغتربان وغربتهما جارحة.

أما الشاعرة صبرية الحسو كان شعرها فيمتاز بازدحام الصور المترامية والموسيقى الارتكازية العميقة، ولا بدّ للقارئ أن يقرأ من قصيدتها (الكوخ الصغير) المنشورة في جريدة -المبدأ- البغدادية عام ١٩٥٣م وهي من الشعر الاجتماعي، حيث تقول: (آل طعمة ، د.ت: ص.12)

البرد والريح المدوي والظلام

وكوخ فلاح صغير

تتلاعب الريح العتية بازدهاء

في جانبيه وسوف تقلعه الرياح

فلا أرى غير الحطام

والريح تعصف حيث يشتد الظلام

وعواء كلب من بعيد

وصوت ابني يستغيث:

تحطّم الكوخ الصغير "تحطّم الكوخ الصغير"

وفي ظل الظروف السياسية الصعبة التي تفرض على الأديب في منطقتنا العربية اللجوء إلى استخدام الرمز في كتاباته، ورغم أن الحالة السياسية في العراق لم تكن أفضل حالاً من باقي دول المنطقة، فإن الشاعر رفض أن يكون متردداً في طرحه، لقد كان جريئاً في نقد الأنظمة السياسية رغم جبروتها، مستخدماً أسلوبه الشعري، في استدعاء الشاعر لذكريات الأهل والرفاق في سياق المشاركة الوجدانية،

يحاول جعل تلك الذكريات معادلاً موضوعياً يعبر من خلاله عن مشاعر الفقد التي سيطرت على رفاق الأمس.

يقول علي ناصر الحسيني من قصيدة (ربى الحي) وهو يتذكر مدينته وأهله:

أذوي إذا ما ذوت في الحي زنبقة أو شح دون عطاء اليانعات ندى

وحاورتني عيون كنت ارقبها عبر المسافات حتى أبرقت وعدا (الحسيني ، 2023 : ص.68)

يتخيل الشاعر عبر تخيل المكان نسائم الرفقة في ملعب صباه مدينة الحي تلك المدينة التي ولد وترعرع فيها، فليس مفاجئاً أن يكتب الشاعر نصوصاً شعرية يستذكر فيها رفاق الأمس الذين قضوا في حروب عبثية كان للعراق نصيب كبير منها. فهو ينحت نصوصه على مهل، محاولاً تحقيق توازن بين البناءات القديمة وتأثيث النص بما يلبي تطلعات المتلقي. وربما هذا ما يميز شعره الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتراب والوطن وأبنائه مهما ابتعد عنه زمانياً ومكانياً. لقد حرص الشاعر على إبراز فداحة الفاجعة التي حلت بالوطن بأسلوب أكثر تأثيراً على نفسية المتلقي. فعندما تكون الحروب عبثية والموت مجانياً، يتجلى ذلك كأحد أبرز معاني الفقد. (عبدالامير ، د.ت : ص.23)

وتأسيساً على هذا يمكن القول: لقد استطاع شعراء الحداثة أن يفضوا بمشاعرهم الاغترابية الحارة، ويكشفوا عن نوازعهم النفسية، وأحاسيسهم الاغترابية بأسي جارح، وأنين حزين، مسجلين أعلي درجات الإثارة والتأثير؛ لأن مثل هذا الشكل الاغترابي يروي حكايا النفس، وما يخفيه الشعور من أحاسيس اغترابية؛ مردها انكسار الذات أمام صخرة الواقع ومآسيه، ويمكن أن نعد هذا الاغتراب صورة من صور الذات فيما تنطوي عليه في واقعها الشعوري من أزمات، مما يجعل الاغتراب صادقاً في وقعه، ونبضه؛ لأنه نتاج حراك داخلي فرداني مرتبط بالذات، ونوازعها الداخلية.

فالتشاؤمُ والاكتئابُ وقتامةُ الصور الحياتية هي افرازات الشعور بالغربتين الروحية والجغرافية ففي هذا المشهد الذي تصورهُ قصيدة (سفْر أيوب لندن1963) نحسُّ بغربة الشاعر الروحية حين يقول: (عباس ، 1978 : ص.327)

البردُ وهسهسةُ النارْ..

ورمادُ المدفأةْ.. الرملْ..

تطويهِ قوافلُ أفكاري..

أنا وحدي

يأكلني الليلْ..

برقٌ يتلامعُ في الآفاقِ يعرّيها ويذريها كرمادِ المبخرةِ الثكلى..

في مقبرةٍ تهبُ الليلا..

يقول علي ناصر الحسيني في حنينه إلى مكان مسقط رأسه مدينة الحي :

ربى الحي:

عبر المسافات طيف الحي ما انطفأت أمواجه الخضر أنى ظل أو بعدا

أنى اتجهت تشظى في دمي عبق للذكريات وماج الإنتظار مدى

غلى ربى الحي أشواق مهربة كل المنى نفدت والود ما نفدا **(الحسيني ، 2023 : ص.68)**

وكغيره من الشعراء العراقيين المتعلقين بالمدن التي احتضنتهم، ينفتح الشاعر على العلاقة بين المدن والشعر. إن شعر المدن والتغني بها وبفراقها هو شعر حداثي بامتياز، وربما يعود ذلك إلى تأثر الشعراء العرب بنظرائهم الغربيين. فمن قصيدة "الأرض اليباب" لإليوت التي مارست تأثيرها الخاص، استلهم العديد من شعراء العالم شغف الكتابة عن المدن وتناولوا تأثيرات فراقها. ومن لوركا إلى بودلير، ومن أبو لنير إلى جاك روبو، تحولت مدينة باريس وأخواتها إلى مصدر إلهام رئيسي للشعراء .(مهتدي ، 2016: ص.13) مع ذلك، يعتقد بعض الباحثين أن ظهور شعر المدن يعود إلى سقوط الأندلس، حيث انتشر رثاء المماليك والمدن مثل إشبيلية وغرناطة وقرطبة، وظهر مجدداً عند سقوط المدن العربية خلال ما سمي تاريخياً بـ"الحروب الصليبية".(الجنابي ،2016: ص.127)

المبحث الثاني: تجليات الحنين إلى المكان والأشخاص والقيم في النصوص الشعرية.

الحنين هو مصطلح أدبي طغى على الشعراء الذين ابتعدوا عن وطنهم فاعتراهم الشوق إليه، فكانوا يتغنون به وبجماله وهم يعبّرون عنه، ولا يكون شعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرء في وطنه إلا إذا كان في غربة نفسية (التونجي ،1999 : ص.574)، ويعرّف الدكتور أحمد مختار عمر الحنين بأنه كآبة تأخذ النفس بسبب البعد عن الوطن، كآبة تحدثها على الحسرة على ما فات وابتعد.(عمر ، 2008 : ص.574)

وإن الشاعرة مقبولة الحلى لديها أسطورة شعرية متسلسلة منشورة في جريدة -الهاتف- أيضاً عام ١٩٥١م، حيث تقول في مقدمتها وهي "قصة الحياة والزمن في الشرق والغرب وأسطورة الوفاء والخيانة تتردد مهما مرت الأيام وتغيرت النفوس". (آل طعمه ، د.ت : ص.20)

اله الشعر يروي:

فتاة تعيش بدنيا الخيال وتندب حظاً تولّى ومال

فعين بدمع الأسى تشرق ووجه بسر الشقا ينطق

وروح سقتها الحياة الضنا وقلب سوى بؤسه ما جنا

وللشاعر مقبولة الحلى قصائد أخرى بلغت حد الروعة ومنتهى الرقة والوحدة الفنية والإيقاعية، وقصيدتها "انتظار ولقاء" فيها أبيات جميلة تستحيب لها نفس القارئ وتفرح لفرحتها بالحياة، فأسمعها تقول: (آل طعمه ، د.ت : ص.44)

وعنك سألت فلا الأمسيات أجابت ولا نسمات الضحى

ولا الليل أخبرني ما الذي نأى بك عني، وما أفصحا

كما نرى قصائد علي الحسيني مليئةً بمشاعر الحنين، حيثُ عبّر عن اشتياقه إلى وطنه العراق، وذكريات طفولته، وأيام شبابه، وأصدقائه، وأحبائه. كما عبّر عن حنينه إلى زمن الأئمة الطاهرين، وزمن العدل والمساواة والإيمان.

يقول وهو يتذكر أيام بغداد ويحن إليها:

وحين استدارت مرايا الكؤوس تدفق صمت وماج سراب

وأيقظ روحي صدى الذكريات فمر العراق نسيما وغاب

تذكرت بغداد أم القرى وطيرا تقحم عصر الضباب

تذكرت دجلة حلم المروج وزهو النخيل ولون القباب (الحسيني ، 2023 : ص.37)

يصف الشاعر مدينته وهي تتراءى له عبر الكؤوس، وفي ذلك حنين واضح من خلال نسج خيال المدينة عبر الكأس ، إذ يرتبط ذلك بعطش روحي للشاعر فهي تتراءى له عبر الكأس الذي فيه رواء العطشان، مما يدل على تعالق كبير من قبل الشاعر مع أرضه ومعشوقته بغداد.

ويقول في قصيدته "عاشق العراق":

لا يستحم الفجر إلا ها هنا في الرافدين فطول مجدك باسق

كل سواسية هنالك فارق إلا بحبك يا عراق الفارق

في هذه الأبيات يبين الشاعر مدى شوقه وحنينه إلى العراق، وأغلب قصائد الشاعر عندما تقوم بقراءتها فانك تشعر بأن روحه تغادر جسده وتلتحق بمعشوقه العراق، وذلك نابع من إرغامه على مغادرة العراق فهو لم يغادر بإرادته، ولذلك بقيت تلك الغصة عالقه في أبياته الشعرية وهو يحن إلى العراق الذي هو ملعب صباه ومكان ولادته، فالحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية لا يمكن للمرء التخلي عنها، مهما بلغ من رقي حضاري وتطور مادي وسمو روحي. (حور ، 1973 : ص.18)منذ أن عرف الإنسان الوجود وارتبط ببيئته، أصبحت العلاقة بينه وبين بيئته أعمق من علاقته بأسرته. ينسب الإنسان إلى بيئته كما ينسب إلى أسرته، ويستمد هويته منهما معًا. (الابياري ، 1962 :3 ص.) منذ القدم، ارتبط الشوق والحنين بالوطن، وأصبح الحنين إلى الأوطان شائعًا في كل العصور، سواء كان يتعلق بالوطن، القبيلة، الحي، الشعب أو الأمة الكبيرة. سواء كان مسقط رأس أم لم يكن، فإن الحنين إلى الأوطان يمثل انتماء وولاء وحبًا واشتياقًا عميقًا.(الجبوري ، 2008 : ص.10)

يلازمه ذلك الحنين ليشكل أصله وولادته وباعترافه في قصيدة (أفق):

لا تسألوا عني وعن نسبي بغداد أمي والعراق أبي

نار وقد جن الفراش بها لا تحرموني قبلة اللهب (الحسيني ، 2023 : ص.51)

التلازمية هنا لا تقتصر فقط على الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن في فترة زمنية محددة، بل تشبه بشكل كبير موج البحر المتصارع الذي لا يعرف الاستقرار .فكلما تفاقمت حالة الشاعر مِن حُزن ويأس وانكسار، تضاف إليها التحديات النفسية التي أفقدته القوة والحيوية.

لقد عانى السياب من الغربتين الروحية والجغرافية في جيكور أو ببغداد والكويت ولندن . فهو يمثل الريفي وابن القرية الصادق المشاعر، حين يترك مكان مولده وعيْشه ومرتع الطفولة والصبا والشباب وعش الذكريات الحبيَّة والعلاقات الريفية الاجتماعية الطيبة وأهلها الأطيب، حين يهجر، هذا المجتمع الصغير المتجانس ذا العادات والتقاليد المغايرة نسبياً لمجتمع بغداد الهجين الصاخب المتفرد الشخصية المعقَّد العلائق الاجتماعية، يصطدم بصخرةٍ صلبةٍ معقدة التكوين ذات طلاسم والغازٍ يصعب حلها وتفسيرها وهضم إفرازاتها الحضارية، لذا تراه يصابُ بالإحباط العاطفي نتيجة فشله في حب النساء كما شرحتُ هذا الأمر في الفصل الثاني من الكتاب (سيكولوجية التشاؤم والاكتئاب). كما وانه اصدم بزيف العلاقات الاجتماعية ونفاق أصحابها كما وصفتهُ قصيدته (اغنيةٌ في شهر آب) ومقطع من (أنشودة المطر): (عباس ،1978 : ص.206)

أتعلمين أي حزنٍ يبعثُ المطر

وكيف تنشج المزاريبُ إذا انهمر

وكيف يشعر الوحيدُ فيهِ بالضياعْ.

فالشعور بالوحدة هو حالة اكتئابية تنتجها الغربتان الروحية والجغرافية أحياناً. ولقد جسدت هذه الحالات قصيدة (اغنية في شهر آب):(عباس ، 1978 : ص.278)

مرجانه.. هل قُرِعَ الجرسُ .

.فتقول ويخذُلها النفَسُ..

في الباب نساء ..

الذئبُ يُدثِّرُ إنسانه ..

الخاتمة:

بعد استعراض الإطار النظري والوقوف على مفهوم الرمز في النقد الأدبي الحديث، ثم تتبّع الخلفية التاريخية والاجتماعية للشعر العراقي المعاصر، ومن خلال تحليل ثيمة الغربة والحنين في النصوص الشعرية، يمكن القول إن الشعر العراقي الحديث قد مثّل مرآة عاكسة للتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي مر بها العراق في القرن العشرين وما تلاه. لقد شكّل الرمز أداة مركزية للتعبير عن المعاناة، والانكسارات، وأحلام العودة إلى قيمٍ أصيلة، فيما برزت ثنائية الغربة والحنين كإحدى السمات المميزة لخطاب الشعراء العراقيين، حيث انصهرت التجربة الفردية مع الهمّ الجمعي لتنتج شعراً متجاوزاً لحدود الذات نحو الفضاء الإنساني العام.

النتائج:

- يتضح أن الرمز في الشعر العراقي الحديث لم يكن مجرد تقنية جمالية، بل وسيلة لحماية النص من المباشرة والرقابة، ولإضفاء أبعاد دلالية متعددة.
- لعبت الخلفية التاريخية والاجتماعية (الحروب، الاحتلال، الهجرة، التهميش) دوراً حاسماً في تكوين خطاب شعري متخم بالاغتراب النفسي والمكاني.
- مثّلت الغربة النفسية حالة وجودية للشاعر العراقي، حيث تجلّت عبر صور الانكسار، التشظي، فقدان المعنى، والبحث عن هوية جديدة.
- ظل الحنين إلى الوطن، والمكان الأول، والأشخاص، والقيم الروحية، أحد المرتكزات الأساسية التي أعادت للشعر العراقي بعداً إنسانياً دافئاً، رغم قسوة التجربة الواقعية.
- يشكّل حضور الغربة والحنين معاً جدلية مستمرة بين الانفصال عن الواقع والرغبة في العودة، وهي جدلية تمنح النصوص ثراءً فنياً وعمقاً إنسانياً.

التوصيات:

- ضرورة التوسّع في دراسة البعد الرمزي في الشعر العراقي وربطه بالظروف السياسية والاجتماعية الراهنة لفهم آليات تشكّله.
- الاهتمام بقراءة التجربة الشعرية العراقية في سياقها المقارن مع التجارب العربية والعالمية التي تناولت ثيمات الغربة والمنفى.
- تشجيع الباحثين على إجراء دراسات تطبيقية تحليلية تتناول دواوين محددة لشعراء عراقيين ولا سيما علي ناصر الحسيني، بغية الكشف عن خصوصيات التجربة الفردية داخل الإطار الجمعي.
- إدراج موضوع الغربة والحنين ضمن المناهج الأكاديمية لما يمثله من مفتاح لفهم الهوية الثقافية والأدبية العراقية.

- دعم الدراسات النقدية التي تركز على البعد الإنساني في الشعر العراقي، بعيداً عن القراءة الأيديولوجية الضيقة، بما يعزز موقع الأدب العراقي في المشهد العربي والعالمي.

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور: لسان العرب: دار صادر، بيروت، ط ٣.
2- العتيبي(١٩٩٧م): الشعر العربي الحديث: دار المعارف، القاهرة.
3- مجموعة من المؤلفين: كتاب الأدب المقارن، ١٩٨٩م: جامعة المدينة العالمية، المملكة العربية السعودية.
4- عركون(٢٠٢١م): الرمزية الدينية: مكتبة نواة، بيروت.
5- زيدان(٢٠٢١م): الرمز: جامعة فيلاديلفيا.
6- قزع(٢٠١٢م): الرمز الأسطوري في الشعر العربي الحديث، مجلة الحوار، ع ٩،(Doi).
7- الزيات(د. ت): كتاب مجلة الرسالة، مؤسسة إحياء التراث العربي، بيروت.
8- الأصفر(٢٠١٥م): خصائص المدرسة الرمزية: مؤسسة الميراج، بغداد.
9- مجموعة من المؤلفين: الرمز، مجلة البيان، ع٢٩٦، د. ت.
10- فيله(٢٠١٩م): من أعمدة الشعر العراقي: دار النهضة، القاهرة.
11- مجموعة من المؤلفين(٢٠٠٩م): شعراء عراقيةن يكتبون اغترابهم... بلغات منافيهم: مجلة الحياة، ع٩،(Doi).
12- مجموعة من المؤلفين(٢٠١٠م): العراق بلد الشعراء: جريدة الرياض، ع ١٨.
13- الخياط(١٩٨٧م): الشعر العراقي الحديث (مرحلة وتطور): دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢.
14- الطعمة(١٩٩٣م): دراسات في الشعر العراقي الحديث: دار البيان العربي، بيروت، ط ١.
15- بصري(١٩٩٤م): أعلام الأدب في العراق الحديث: دار الحكمة، بريطانيا، ط ١.
16- الطعمة(٢٠٠٢م): رواد الشعر الحر في العراق: دار البلاغة، بيروت، ط ١.
17- لعيبي(٢٠٠١م): مقدمة للشعر العراقي الحديث محاولة لتأسيس رؤية جديدة: مجلة جنيف، ع ٢٧،(Doi).
18- ترمانيني(٢٠٠٤م): الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث: دار الكتب العلمية، بيروت.
19- النواب(١٩٩٦م): الأعمال الشعرية الكاملة: دار الكتب، بغداد.
20- آل طعمة(د. ت): شاعرات العراق المعاصرات: دار المعارف، القاهرة.
21- عباس(١٩٧٨م): كتاب بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره: دار الثقافة، بيروت، ط ٤، ص ٣٢٧.
22- التونجي(١٩٩٩م): المعجم المفصل في الأدب: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢.
23- عمر(٢٠٠٨م): معجم اللغة العربية المعاصرة: عالم الكتب، القاهرة.
24- الحسيني(2023م): تدفق صمتاً: مكتبة الجامعة، واسط، ط ١.
25- حور(1973م): الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي: دار النهضة، مصر.
26- الإبياري(1962م): الوطن في الأدب العربي: دار القلم، القاهرة.
27- الجبوري(2008م): الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الاوطان): دار مجدلاوي، عمان، ط ١.
28- الحسيني(2023م): الديوان: مكتبة الجامعة، واسط، ط ١.
29- عبد الأمير(د. ت): الشعر العراقي في المنفى ووعي المنفى – جيل الثمانينات أنموذجاً: الموقع الرسمي للشاعر.
30- مهتدي(2016م): شعرية المكان في ديوان " حين استدرجتني المدن " للشاعر محمد منير: مقالة، صحيفة الجوار المتمدن، ع 5158 .
31- الجنابي(2016م): المكان في شعر محمود درويش: دار الشؤون الثقافية، بغداد.